

ليس هنا حذف كما أطالوا طائلات، وإنما باء الملازمة على «إن...» فتأويلاً للمصدر: «إلا بمشيئة الله»، ف«لا تقولن لشيء أياً كان وأيان إني فاعل ذلك غداً إلا مصاحباً بمشيئة الله إن أفعله أو لا أفعله فالفعل والترك لمن يعزم على فعل أو ترك بحاجة إلى إذن تكويني وتوفيق من الله»^(١).

ثم وملازمة القول هذا ليست بواقع المشيئة فإنها مجهولة للفاعل وإنما بقول ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ف«لا تقولن...» إلا بقول مشيئة الله ترجياً: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾!

وقد يعني ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ منقطع الاستثناء: أن القول ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ ممنوع على أية حال فإن فيه تأكيد الاستقلال، ولا يجبره الاستثناء، أترجياً وتردداً بعد تحتم! إذاً فقل ما شئت غير متحتم، وافرته بـ ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ تأييداً أنه غير محتوم وترجياً لمشيئة الله.

وقد يحتمل اتصال الاستثناء بوجه آخر أن القول ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ ممنوع كمنع الدخول في ملة الشرك إلا أن يشاء الله ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٢) حيث العودة هذه ولا سيما لنبي مستحيلة الإذن من الله!.

(١) المصدر ٢٥٤ ح ٤٩ عن الكافي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُخَذْ لَهُمْ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] قال: فقال: إن الله عَزَّ وَجَلَّ لما قال لآدم: ادخل الجنة قال له: يا آدم لا تقرب هذه الشجرة. قال: وأراه إياها فقال آدم لربه: كيف أقربها وقد نهيتني عنها أنا وزوجتي؟ قال: فقال لهما: لا تقرباها يعني لا تأكلا منها فقال آدم وزوجته: نعم يا ربنا لم نقربها ولم نأكل منها ولم يستشيا في قولهما نعم فوكلهما الله في ذلك إلى أنفسهما وإلى ذكرهما، قال وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ لنبيه عليه السلام في الكتاب: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْ شَيْءٌ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا أفعله فتسبق مشيئة الله في أن لا أفعله، فلا أقدر على أن أفعله، فلذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٢٤] أي استثنى مشيئة الله في فعلك.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.

وقد يعني الاستثناء كل ذلك حيث يلائمها اللفظ والمعنى وهو أجمل وأكمل!

وترى ﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ يخصص فقط تركه نسياناً، فإن كان ذاكراً ربه وترك الاستثناء فلا جيران بعدئذٍ؟ بلى حيث الأمر السماح كتوبة خاص بـ ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾! وكلا حيث النسيان يعم النسيان المعمد وسواه، تناسياً ونسياناً، بل ولا عصيان إلا تعمّد (عن) نسيان وإذ لا عمد فلا عصيان: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾^(١) ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾^(٢)! ثم وباب التوبة مفتوحة بمصراعيها في كل عصيان فضلاً عن ترك الاستثناء فإنه أياً كان ليس محرماً فيه عصيان!

﴿وَأَذْكُرُ . . . وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشْدًا﴾.

وكما أن ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ترج للرحمة من الله، فـ ﴿عَسَىٰ . . . لِأَقْرَبَ﴾ ترج ثان التماساً للارتفاع على هذا المرتقى، وضرورة المحاولة للاستواء عليه في كافة الأحوال.

إنه ليس يهمني - فقط - رجاء الإجابة عن أسئلتكم هذه وإن كان فيها رشد، بل و﴿عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشْدًا﴾ أجل ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٣) فليس حاضر علم الوحي واقفاً على حده ليوقفني على حده، فإنني التماساً من ربي وترجياً لزائد رحمته غائص في خضم عنايته، رحمت بعضها فوق بعض!

ومهما لمحت ﴿وَلَا تَقُولَنَّ . . . وَأَذْكُرُ . . . وَقُلْ عَسَىٰ﴾ أن المخاطب فيها هو الرسول ﷺ ولكن ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ لم يكن من قوله بل هو «أتوني غداً» فإن تشمله «لا تقولن» فهو على البدل، وبالنسبة للمستقبل.

(١) سورة طه، الآية: ١١٥.

(٢) سورة طه، الآية: ١٢١.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٤.

ثم و﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ نسيان لذكر الرب وليس إلا بسلطان الشيطان و﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(١) وهو أول العابدين والمخلصين ﴿فِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢) ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُحْصِينَ﴾^(٣) اللهم إلا أن يكون نسياناً لاستثناء غير لازم كما في قوله «أتوني غداً» فراجع هنا قول ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ والله يعلمه لكي يتأدب به فإنه ربه ومؤدبه، فلم يك ناسياً لربه إن تركه، أم إن نسيه فنسيانه من الله لكي يعرفه موقفه أنه في معرض النسيان لولا تثبيت من الله.

ثم ترى أنها نص على عدد لبثهم هو ثلاثمائة وتسع سنين، وصيغته الصحيحة هي هذه دون المذكورة في الآية!

أو تعني لهم مجموعاً من اللبثين فالأصل ثلاثمائة والتسع الزائد عليها يلحقها حيث ازدادوها تطلباً من الله بعد بعثهم عن نومتهم الأولى؟ ولا طائل تحت هذه الزيادة المزعومة حيث القصد من بعثهم الأول عن نومتهم الأولى حاصل ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ... وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا...﴾ وقد حصلت هذه الثلاث فماذا بعد! ولماذا بعد «تسعاً»؟! .

أو أن التسع المزداد إنما تعني توفيق حساب الأعداد، أن الثلاثمائة هي الشمسية فتتحول إلى إضافة التسع حسب القمرية^(٤)؟ وهذا لا يصح في أي

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٢ .

(٢) سورة ص، الآية: ٨٢ .

(٣) سورة الحجر، الآية: ٤٠ .

(٤) نور الثقلين ٣: ٢٥٦ ح ٦٢ عن مجمع البيان وروي أن يهودياً سأل علي بن أبي طالب عليه السلام عن مدة لبثهم فأخبر بما في القرآن فقال: إنا نجد في كتابنا ثلاثمائة فقال عليه السلام ذاك بسني الشمس وهذا بسني القمر - .

أقول وهذا حديث مخلوق كما بيناه في المتن وفي احتجاج الطبرسي عن أبي عبد الله عليه السلام وقد رجع إلى الدنيا ممن مات خلق كثير منهم أصحاب الكهف أماتهم الله ثلاثمائة عام وتسعة وبعثهم في زمان قوم أنكروا البعث ليقطع حججهم ويريه قدرته وليعلموا أن البعث حق أقول: بين الروايتين تناقض في تسعاً ثم هنا الموت وفي القرآن النوم فهما مختلفان مطروحان! .

حساب! فإن كانت الثلاثمائة شمسية فإضافة التسع القمرية لا تحولها إلى (٣٠٩) قمرية، وإن كانت قمرية فإضافة التسع قمرية وشمسية لا تحولها إلى (٣٠٩) شمسية ولا قمرية^(١) وإن كانت مجملة فإضافة أحدهما لا تزيدها إلا إجماعاً! ثم من ذا الذي ازداد الثلاثمائة تسعاً إلا الله في هذا الحساب التحويل، ومن ثم فليس القرآن كتاب حساب يحول عدداً إلى آخر، ولو كان لكان التعبير هنا، «ثلاثمائة سنين هي بالقمرية (٣٠٩) دون ﴿وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾ ثم القرآن لا يذكر السنين إلا قمرية كما هي الأصل في أحكامه الشرعية، فأيا كانت تلك السنين تتحول في مستعمل القرآن إلى القمرية! ثم هذه الثلاث قد تنافي ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا...﴾ أفبعد التصريح هكذا بعددهم تجهل غير الله وتخص علمه بالله؟! .

أو أن الثلاثمائة وتسعاً هما من مقالات المتنازعين أمرهم بينهم؟! ولا شيء منهما مما يقوله الله^(٢)؟ وذلك عطف بعيد أن تعطف ﴿وَلَبِثُوا...﴾ بـ ﴿سَيَقُولُونَ...﴾ وبينهما الفصل بجملات في الآية وآيتين بعدها وهو خلاف الفصيح! ولكنه ليس فصلاً بينهما بأجنبي حتى يخالف الفصيح، و﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ...﴾ تكفي قرينة على ذلك العطف مهما كان بعيداً بفصله عن أصله!

(١) وهي حسب الشمسية ٢٩١ سنة إلا (١٥) يوماً وزيادة التسع (٣٠٠) سنة إلا (٩٥) يوماً! .
 (٢) الدر المشور ٤ : ٢١٨ - أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: إن الرجل ليفسر الآية يرى أنها كذلك فيهوى أبعد ما بين السماء والأرض ثم تلا ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٥] الآية ثم قال: كم لبث لقوم؟ قالوا: ثلاثمائة وتسع سنين، قال: لو كانوا لبثوا كذلك لم يقل الله: قال الله أعلم بما لبثوا ولكنه حكى مقالة القوم فقال سيقولون ثلاثة إلى قوله رجماً بالغيب وأخبر أنهم لا يعلمون قال سيقولون ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً.

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة قال: في حرف ابن مسعود: وقالوا لبثوا في كهفهم الآية يعني إنما قاله الناس ألا ترى أنه قال: قل الله أعلم بما لبثوا - أقول ﴿وَقَالُوا﴾ تفسير بيان العطف وليست من الآية وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال: هذا قول أهل الكتاب فرد الله عليهم: قل أرى أعلم بما لبثوا.

أو أن الثلاثمائة هي قول الله ﴿وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾ نقل الزيادة عليه تأنيباً يؤيده ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَ بِأَعْيُنِنَا...﴾ فكما أن عدتهم ذكرت في تلميحاً، كذلك سنيهم العدة؟ وهذا أوفق أدبياً ومعنوياً! ثم إنهما من أقوال المتنازعين بلمحة أن الأول مصدق دون الثاني، ولولا صدقه دونه لكان التعبير «ويقولون ثلاثمائة ويقولون زيادة تسع...»!

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَ بِأَعْيُنِنَا﴾ ممن ازدادوا تسعاً، أم وقالوا ثلاثمائة فإن ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وعدة لبثهم من الغيب لا يعلمها إلا هو، «أبصر به» في عجاب «وأسمع» فلا يبصر أحد ما يبصره ولا يسمع ما يسمعه ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يلي أمرهم تعليماً لغيب، تكويناً أو تشريعاً فله الولاية المطلقة لا سواه، وله الحكم مطلقاً لا سواه ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ اللهم إلا حكماً شرعياً وليس بإشراك وإنما برسالة وسواها من تبليغ رسالة أمأهيه .



الفهرس

سورة الإسراء

٧	سورة الإسراء، الآيات: ١ - ٨
٧٠	سورة الإسراء، الآيات: ٩ - ١٢
٨٧	سورة الإسراء، الآيات: ١٣ - ٢١
١٢٣	مشكلة الخلود
١٣٠	فناء النار بمن في النار
١٣٤	سورة الإسراء، الآيات: ٢٢ - ٣٩
١٥٦	كلام حول التبذير
١٩٦	سورة الإسراء، الآيات: ٤٠ - ٥٥
٢٢٠	سورة الإسراء، الآيات: ٥٦ - ٦٥
٢٣٧	قفزة الخلقه لأدم الأول من طين
٢٥٤	سورة الإسراء، الآيات: ٦٦ - ٧٧
٢٧٥	سورة الإسراء، الآيات: ٧٨ - ٩٥
٣٣١	سورة الإسراء، الآيات: ٩٦ - ١١١

سورة الكهف

٣٥٩	سورة الكهف، الآيات: ١ - ٨
٣٧٠	سورة الكهف، الآيات: ٩ - ٢٦